

الكتاب: المنحة الوهبية في رد الوهابية

المؤلف: الطحطاوي

الجزء:

الوفاء: معاصر

المجموعة: ردود علماء المسلمين على الوهابية والمخالفين

تحقيق:

الطبعة:

سنة الطبع: ١٤٠٦ - ١٣٦٤ ش - ١٩٨٦ م

المطبعة:

الناشر: مكتبة الحقيقة - إستانبول - تركيا

ردمك:

ملاحظات:

المنحة الوهية  
في رد الوهابية  
الطبعة الثانية

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست

HAKIKAT KİTABEVİ

No. Darussefaka Cad : ٥٧ \ K. A P . ٣٥

٣٤٢٦٢ - Fatih ISTANBUL Tel : ٥٢٣ - ٤٥ - ٥٦

١٩٨٦ TURKEY

(تعريف الكتاب ١)

قال السيد العلامة أحمد الطحطاوي في حاشية الدر ما نصه قال كثير من المفسرين إن المراد من الذين فرقوا دينهم أهل البدع والشبهات من هذه الأمة وروى عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله تعالى عنها إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا أصحاب البدع وأصحاب الأهواء من هذه الأمة قال تعالى وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم أي الطرق المختلفة التي هي ما عدا طريقة مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل والأهواء والبدع فتقعوا في الضلالة وقال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا قال بعض المفسرين المراد من حبل الله الجماعة لأنه عقبه بقوله ولا تفرقوا والمراد من الجماعة عند أهل العلم أهل الفقه والعلم ومن فارقتهم قدر شبر وقع في الضلالة وخرج عن نصره الله تعالى ودخل في النار لأن أهل الفقه والعلم هم المهتدون المتمسكون بسنة محمد عليه الصلاة والسلام وسنة الخلفاء الراشدين بعده ومن شد عن جمهور أهل الفقه والعلم والسواد الأعظم فقد شد فيما يدخله في النار فعليكم معاشر المؤمنين باتباع الفرقة الناجية المسماة بأهل السنة والجماعة فإن نصره الله وحفظه وتوفيقه في موافقتهم وخذلانه وسخطه ومقتته في مخالفتهم وهذه الطائفة الناجية قد اجتمعت اليوم في مذاهب أربعة وهم الحنفيون والمالكيون والشافعيون والحنبليون رحمهم الله ومن كان خارجا عن هذه الأربعة في هذا الزمان فهو من أهل البدعة والنار اه قال فإن قلت ما وقوفك على أنك على صراط مستقيم وكل واحد من هذه الفرق يدعي أنه عليه قلت ليس ذلك بالادعاء والتشبه باستعمالهم الوهم القاصر والقول الزاعم بل بالنقل عن جهابذة هذه الصنعة وعلماء أهل الحديث الذين جمعوا صحاح الأحاديث في أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحواله وأفعاله وحركاته وسكناته وأحوال الصحابة والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوهم بإحسان مثل الإمام البخاري ومسلم وغيرهما من الثقات المشهورين الذين اتفق أهل المشرق

والمغرب على صحة ما أوردوه  
في كتبهم من أمور النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله تعالى عنهم ثم بعد  
النقل بنظر إلى الذي تمسك بهديهم  
واقطفى أثرهم واهتدى بسيرهم في الأصول والفروع فيحكم بأنه من الذين هم هم وهذا  
هو الفارق بين الحق والباطل  
والمميز بين من هو على صراط مستقيم وبين من هو على السبيل الذي على يمينه  
وشماله قال واختلف العلماء من  
السلف والخلف في تكفير أهل الأهواء والبدع ولا شك أن من كان مذهبه وبدعته  
مؤدياً إلى الكفر وهو غير متأول  
فيه فهو كافر الإجماع وأما من كان منهم في مذهبه وبدعته على طريق التأويل  
والاجتهاد والخطأ المفضي إلى  
الهوى والبدعة من تشبيهه أو نعت بجارحة أو نفي صفات كمال مما لا يليق به سبحانه  
وتعالى اختلف السلف  
والخلف في تكفيره فقال بعضهم أهل الأهواء كلهم كفار وهذا قول كثير من السلف  
والفقهاء والمتكلمين من  
الخلف ومنهم من صوب التكفير الذي قالوا به ومنهم من أبى إخراجهم من سواد  
المسلمين وهو أكثر الفقهاء  
والمتكلمين فقالوا هم فساق عصاة ضلال ويورثهم من المسلمين ويحكم لهم  
بأحكامهم قال ابن الهمام في شرح  
الهداية نعم يقع في كلام أهل المذاهب تكفير كثير منهم ولكن ليس من كلام الفقهاء  
الذين هم المجتهدون بل من  
غيرهم ولا عبرة بغير الفقهاء والمنقول عن المجتهدين عدم تكفيرهم أه وأما قوله عليه  
الصلاة والسلام (ابني  
إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة وتفرقت أمتي) يعني أمة الإجابة المؤمنين به صلى  
الله  
عليه وسلم (على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا واحدة وهي ما أنا عليه  
وأصحابي) قال التور بشتى  
في شرح المصابيح المراد من الأمة هنا من يجمعهم دائرة الدعوة من أهل القبلة لأنه  
أضافهم إلى نفسه فقال  
أمتي وأكثر ما ورد من الحديث على هذا الأسلوب المراد منه أهل القبلة والمعنى أنهم  
تفرقوا فرقا تتدين كل  
واحدة منها بخلاف ما تتدين به الأخرى وقوله كلهم في النار إلا واحدة يعني كلهم  
يفعلون ويعتقدون ما هو

موجب دخول النار فإن كان كفرا وماتوا عليه دخلوا النار لا يخرجون منها أبدا وإن لم يكن كفرا فهو إلى الله تعالى إن شاء عفا عنهم وإن شاء عذبهم ثم يخرجهم من النار ويدخلهم الجنة واستشكل ظاهر قوله عليه الصلاة والسلام كلهم في النار بأنه إن أريد التأيد فيها لا يصح لأن من مات من أهل البدع على الإيمان فلا بد من دخول الجنة وإن أريد أن دخولهم محتم وإن كانوا يخرجون لا يصح لأن المؤمن العاصي في مشيئة الله تعالى وإن أريد أنهم مستحقون لدخولها وهم في المشيئة فعصاة أهل السنة كذلك فما وجه التخصيص وأجيب بأن التخصيص لشدة مؤاخذتهم بالعذاب فإن عذابهم في النار يكون أشد عذابا من عصاة الفرقة الناجية لسوء اعتقادهم في طريقة نبيهم وبأن الكل مجموعي لا جميعي أي مجموع هذه الفرق في النار ومجموع هذه الفرقة في الجنة ولا يلزم أن يكون كل الفرق في النار ولا كل الفرقة في الجنة من غير سابقة عذاب

المنحة الوهبية في رد الوهابية  
جمع الفقير إلى ربه العلي القدير  
داوود بن السيد سليمان  
البغدادي النقشبندي الخالدي  
عفى الله عنه وعن أسلافه  
أمين  
ويليها كتاب أشد الجهاد في  
إبطال دعوى الاجتهاد  
أيضا للعلامة المتقدم  
أعني شيخ الإسلام  
الشيخ داوود عليه رحمة  
الودود  
م م

م  
قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست  
يطلب من المكتبة الحقيقية بشارع دار الشفقة بفتح ٥٧ استانبول - تركيا  
هجري قمري هجري شمسي ميلادي  
١٤٠٦ - ١٣٦٤ - ١٩٨٦

(تنبيه)  
من أراد أن يطبع هذه الرسالة وحدها أو يترجمها إلى لغة أخرى فله من الله الأجر  
الجزيل ومني  
الشكر الجميل وكذلك جميع كتبي كل مسلم مأذون بطبعها بشرط جودة الورق  
والتصحيح

Hizmet Gazetecilik ve Matbaacılık Limited Sirketi: Baskı  
Tel. IST - Cagaloglu : ٥٢٦ - ١٨ - ٠٠ (١٠ hat)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين  
أحمد الله الذي أذل البدعة وأهلها وأعز السنة ومن استأهلها  
فقيض لها في كل زمان طائفة لا يضرها من خذلها مصلطة سيوف الأدلة  
على من حرف الشريعة أو بدلها وأصلي وأسلم على سيدنا محمد صاحب  
السنة السنية الدافع بصولته جيشان الأباطيل الخارجية وعلى آله  
الذين من نفاهم أو انتقصهم غرق وما نجى وعلى أصحابه الذين كل منهم  
باسنة هممهم للمارقين دجي أما بعد فيقول الفقير إلى مولاه داود بن السيد  
سليمان البغدادي قد ظهر في زماننا أناس يخالفون أهل السنة والمذاهب  
فيضللون الأمة المحمدية ويستبيحون دماءهم وأموالهم في شبهات خاب من  
هو إليها ذاهب فاستعنت الله على ردهم بهذه الورقات القليلة لعل الله يهديهم  
فتكون نعم الوسيلة اعلم أيها المؤمن أن المنكر للتوسل والتشفع من الأنبياء  
والأولياء من عباد الله الصالحين والاستغاثة بهم على طريق التسبب مما  
يقدره الله تعالى على أيديهم بنوع كرامة من الله تعالى أو بدعاء منهم لله في  
دار برازخهم في حصول خير من الله للطالب منهم تشفعا أو دفع شر إنما أتاه الإنكار  
من اعتقاده أن الميت إذا مات صار ترابا لا يسمع ولا يرى وليس له حياة برزخية في  
قبره فهو يستغرب حينئذ الطلب منه على طريق الوسيلة والتسبب به كما يتسبب  
بالإحياء أهل الدنيا ولو كان معتقدا أن سائر أهل القبور أحياء حياة برزخية  
يعلمون بها ويعقلون ويسمعون ويرون ويعرفون من زارهم ومن سلم

عليهم ويردون السلام ويتزاورون بينهم ويتنعمون أو يعذبون وأن النعيم والعذاب على الروح والجسد وأن أعمال الأحياء تعرض عليهم فما رأوا من خير حمدوا الله واستبشروا ودعوا لفاعله بالزيادة والثبات وإن رأوا شرا دعوا الله لهم وقالوا اللهم راجع بهم إلى الطاعة واهدهم كما هديتنا وغير ذلك من أحوال أهل البرزخ لما وسعهم الإنكار فإن دار البرزخ هي نقلة من دار إلى دار وقد ثبت كل ما ذكرناه من هذه الأحوال بنص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وأن من لم يعتقد ذلك فقد ترك من واجب الإيمان شيئا يجعله من المبتدعين الخارجين عن سنة سيد المرسلين وملتحق من بعض الوجوه بالكفار المنكرين فإن البعث بالقيام للمحشر من أركان الإيمان الذي يكفر منكروه وإنكار حياة القبر للنعيم والعذاب إنكار للبعث الأصغر الذي هو أنموذج البعث على أن هذا الجاهل المنكر لما أجمعت عليه الأمة لو قلنا بموجب قوله إن أهل القبور تكون أجسادهم ترابا لا يسمعون ولا يرون ولا يعرفون ولا نعيم ولا عذاب للأجساد يقال له إذا ثبت ذلك للروح فالمانع من أن الروح يثبت لها ما ذكرناه من الأحوال المتقدمة وأن التشفع والتوسل والطلب منها على طريق التسبب كطلب الشفاعة والدعاء ونحو ذلك وهي حية حياة دائمة لا تفنى كما عليه جميع أهل الملل فهي أيضا يمكن لها التسبب فيما يقدره الله تعالى على يدها ولما كان هذا الحال الذي هو سبب الإنكار صار حال أكثر الناس حتى ممن يدعى العلم وهو من جنس الجهال العوام لأنه في زماننا يسمى الرجل عالما وهو ما عرف الأحاديث النبوية وتفسير الآيات القرآنية ولا اطلع على أقوال الصحابة والتابعين وآثارهم بل قصارى أمره أن يكون قراء بعض مقدمات في العلوم فوقف عندها واشتهر عند الناس أن فلانا عالم أفندي فاكتفى بذلك فصار يقول العوام قال فلان العالم كذا وكذا وهو من عقله وبهذا ذهب العلم واتخذ الناس رؤسا جهالا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا كما في البخاري فوجب على من اطلع البيان فإن الناس بهذه الأحوال أقرب ما يكون إلى حال الجاهلية لأنهم إذا أنكروا نعيم القبر وعذابه وأنه على الروح والجسد على ما هو واجب الاعتقاد قال صاحب نظم الشيبانية (وأن عذاب القبر حق وأنه على الروح والجسد الذي فيه الحداء) أي ونعتقد أن عذاب القبر حق أي ونعيمه



فهو من باب الاكتفاء كقوله تعالى سراويل تقيكم الحر أي والبرد فالنعيم والعذاب على الروح والجسم وإن لم نره نحن لأنه من الإيمان بالغيب يحتمل أنه يجبرهم هذا على إنكار البعث الأكبر لأن الكل راجع إلي قدرة الله وهذا بالنسبة إلى العقل وأما بالنسبة إلى النقل فالآيات والأحاديث وأقوال سلف الأمة مطبقة على الأحوال التي ذكرناها سابقا لأهل البرزخ فإن كان الإنسان يجهلها فما نحن نذكرها أولا مفصلا بابا بابا ثم نتبع ذلك بالأحاديث الصحيحة الواردة في التوسل والتشفع والطلب منهم للشفاعة على طريق التسبب لا أنهم الفاعلون استقلالاً فإن هذا يعتقده أكثر الناس من الوهابية وغيرهم في الأحياء لمشاهدتهم لأفعالهم وحركاتهم فلا يخطر ببال المتسبب بهم نسبة فعلهم إلى الله تعالى فيشركون إلا نادرا جدا وأما الأموات من الأنبياء والأولياء والأحياء عند ربهم فإن الناس يعلمون أنهم لا قدرة لهم إلا بالله تعالى وأن الله تعالى يسببهم بقدرة من عنده خارقة للعادة أو يفعل تعالى لأجلهم أو بجاههم وحرمتهم فالناس وإن نسبوا لهم الفعل فليس مرادهم الحقيقة بل المجاز والتسبب فاعلم ذلك وتحققه لتعلم أن ما بآء به المنكرون نزعة شيطانية خارجه عن الدلائل العقلية والنقلية وبعض الناس يعتقد ما ذكرنا من أحوال أهل البرزخ لكن يغفل عن تسببهم وإكرام الله لهم بنوع الكرامة أو يفعل لأجلهم فيستبعد حصول التسبب منهم والتوسل بهم أو يدعى أن الطلب منهم وسؤالهم الشفاعة لم يرد في الشرع وهؤلاء القسم أهون من القسم الأول فهو ناشئ إما من عدم اطلاعهم على الوارد أو من تعصبهم وعنادهم لأنهم يتحيزون إلى فئة أو شخص قال بذلك فهم يثابرون على إثبات قولها أو قوله ولو بالباطل أو عناد لمن يأتيهم بحق أو تكبرا عليه واحتقارا لشأنه وعند الله تتبين الحقائق وتبدو ذرات النيات والدقائق فعليك أيها الموفق بالإنصاف واترك العناد للحق والاعتساف لعلك تحظى بالمدد من الله تعالى والاسعاف (باب) إثبات حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم وأنها حياة حقيقية قال الله تعالى ولا تحسب الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون قال العلماء فإذا أثبت هذا في الشهداء وهم من سائر الأمة

في كل زمان ولا شك أن الأنبياء أولى وأعلا على أنهم قالوا ما من نبي إلا وقد رزق الشهادة وهذا ظاهر وأما قول الحلبي في السيرة قد يقال إنه قد يكون في المفضول ما لا يكون في الفاضل فلا يلزم القياس فممنوع بأن ذلك ممكن فيما لم يرد به نص يوافق هذا القياس وقد ورد من الأحاديث الصحيحة المشفق عليها ما يوافق ذلك ففي البخاري أو مسلم مررت ليلة أسري بي على موسى وهو قائم في قبره يصلي وروى البيهقي وغيره بأسانيد صحيحة عند صلى الله عليه وسلم أنه قال الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون وورد أن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء وقد أطبق العلماء على ذلك وورد في الصحيحين أن الله بعث لنبينا جميع الأنبياء ليلة الإسراء فصلى بهم إماما ركعتين والصلاة ذات ركوع وسجود وهي تستدعي جسدا حيا كما قالوه في صلاة موسى في قبره قال في المشكاة ناقلا عن الصحيحين وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي فإذا هو رجل ضرب جعد يعني شعره غير سبط كأنه من رجل شنؤة وهم قوم من الزط سمر اللون قال الشيخ علي القاري في شرحه قلت قد سبق أنهم أي الأنبياء أحياء عند ربهم وأن الله حرم على الأرض أن تأكل لحومهم ثم أجسادهم كأرواحهم لطيفة غير كثيفة فلا مانع لظهورهم في عالم الملك والملكوت على وجه الكمال بقدرة ذي الجلال ومما يؤيد تشكيل الأنبياء وتصورهم على وجه الجمع بين أجسادهم وأرواحهم قوله في الحديث فإذا موسى قائم يصلي فإن حقيقة الصلاة وهي الإتيان بالأفعال المختلفة إنما يكون للأشباح لا للأرواح لا سيما وكالتصريح في المعنى قوله فإذا موسى رجل ضرب نوع وسط من الرجال أو ضعيف اللحم على ما في النهاية جعد كأنه من رجال شنؤة ثم قال أيضا قلت وقد قدمنا أن الأنبياء لا يموتون كساير الأحياء بل نقلوا من دار الفناء إلى دار البقاء وقد ورد به الأحاديث والأنباء انتهى قال الإمام البيهقي في كتاب الاعتقاد الأنبياء بعد ما قبضوا أردت إليهم أرواحهم فغيبوا عنا وإن كنا لا نراهم كالملائكة إلا لمن أكرمه الله تعالى بنوع كرامة وكذلك ذكر الإمام السيوطي وهو قول الإمام النووي والسبكي والقرطبي عن شيخه ونقله عنه ابن القيم الحنبلي في كتاب الروح وابن حجر والرملي والقاضي زكريا وأكمل الدين الحنفي والشرنبلالي وابن أبي جمرة المالكي وتلميذه ابن الحاج

في المدخل والشيخ إبراهيم اللقاني في شرح جوهرة التوحيد وغيرهم وقد صح عن سعيد بن المسيب أنه في وقعة الحرة لما خلى المسجد النبوي وتعطل عن الأذان والإمامة صار يسمع الأذان والإقامة من الحجرة الشريفة النبوية وذكره ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم وأن كثيرا منهم سمع رد السلام من قبره صلى الله عليه وسلم على المسلمين في كثير من الأوقات بل ثبت هذا من سائر الموتى كما سيأتي والحاصل أن حياة الأنبياء ثابتة بالإجماع ولا يرد على هذا ما ورد في الحديث الصحيح ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام فإنه بظاهره يقتضي أن روحه الشريفة تفارق جسده الشريف وأنها بالسلام ترد وأجاب عنه العلماء بأجوبة أوصلها السيوطي إلى سبعة عشر وجها أحسنها أنه صلى الله عليه وسلم يكون مستغرقا بمشاهدة حضرة القدس فيغني عن إحساسه الشريف فإذا سلم المسلم عليه ترد روحه من ذلك الاستغراق إلى الإحساس لأجل المرد المذكور ونحن نرى في الدنيا بعض من هو مشغول البال بأمر من الأمور الدنيوية أو الأخروية ربما يتكلم أحد معه وهو لا يشعر بكلامه لاشتغال باله واستغراقه فكيف من هو مشغول بمشاهدة جمال ذي الجلال وقد اختلف العلماء في رويته صلى الله عليه وسلم في المنام واليقظة هل هو لذاته أو لمثاله بعد اتفاقهم على حياته في قبره فرجح الأكثر الأول للأحاديث الواردة الصحيحة كما في البخاري من رأني في المنام فسيراني في اليقظة حتى قال النووي إن رؤياه في المنام رؤية لحقيقة ذاته لقوله صلى الله عليه وسلم من رأني في المنام فقد رأني حقا فإن الشيطان لا يتمثل بي ولو كانت الرؤية لمثاله لم يكن رآه حقا قال اللقاني في شرح جوهرة التوحيد اتفق الحفاظ على رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة و منما واختلفوا هل المرئ ذاته أو مثال يحكيها ذهب إلى الأول جماعات و إلى الثاني الغزالي والقرافي وجماعة ثم رجح الأول وممن قال بالأول أكثر من ثلاثين إماما من أكابر العلماء المحدثين وقد ذكرت عباراتهم في رسالة في هذه المسألة مخصوصة وحررت لكل واحد منهم فيها نصوصه (باب سماع الموتى) ورؤيتهم وهذا الباب معقود لغير الأنبياء والشهداء والأولياء أما الأولان

فأحياء كما تقدم يرزقون فرحين مستبشرين وأما الأولياء فلأن سماعهم ورؤيتهم على وجه الكرامة وهي أمر خارق للعادة يجريه الله لعباده الصالحين وإنما نذكر لك هذا اللباب ليتضح لك أن الأنبياء والأولياء والشهداء أعلا وأسمى ولكن إذا كان سائر الناس ولو كفارا يثبت لهم ذلك تعلم ما بآء به بعض الجهلة من نفي السماع

والرؤية عن الأنبياء لا سيما نبينا صلى الله عليه وسلم وعن الشهداء والأولياء روى البخاري أن الميت إذا دفن وتولى عنه أصحابه أنه ليسمع قرع نعال المشيعين له إذا انصرفوا عنه وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة أنه أمر بقتلى بدر بعد أيام من موتهم فألقوا في قليب ثم بعد أيام جاء حتى وقف عليهم وناداهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان إلى آخرهم هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فإني وجدت ما وعدني ربي حقا فقال له عمر رضي الله عنه يا رسول الله ما تخاطب من أقوام قد جيفوا فقال والذي بعثني بالحق ما أنتم بأسمع منهم وفي رواية لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون جوابا وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه قال النووي في شرح صحيح مسلم معناه أنه يعذب بسماعه بكاء أهله ويرق لهم وإلى هذا ذهب محمد بن جرير الطبري قال القاضي عياض وهو أولى الأقوال واحتجوا فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم زجر امرأة عن البكاء على ابنها وقال إن أحدكم إذا بكى استعير له صويحبه فيا عباد الله لا تعذبوا إخوانكم انتهى فهذا النقل يدل على أن الميت ولو من بعد يسمع بكاء أهله عليه فيؤذيه ذلك ويعذبه وقد شرع النبي صلى الله عليه وسلم لأئمة إذا سلموا على أهل القبور أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول المسلم السلام عليكم دار قوم مؤمنين وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد والسلف مجتمعون على هذا وقد تواترت الآثار بأن الميت يعرف بزيارة الحي له ويستبشر قال أبو بكر عبد الله بن أبي الدنيا في كتاب القبور (باب معرفة الموتى بزيارة الأحياء) حدثنا محمد بن عون حدثنا يحيى بن يمان عن عبد الله بن سمعان عن زيد بن أسلم عن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس

به ورد عليه حتى يقوم حدثنا محمد بن قدامة الجوهري حدثنا معن بن عيسى القزاز أخبرنا هشام بن سعد حدثنا زيد ابن أسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال إذا مر الرجل بقبر يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه عليه السلام ذكر ذلك ابن القيم في كتاب الروح ثم بعده ذكر آثارا كثيرة قال وهذا باب فيه آثار كثيرة عن الصحابة ويكفي في هذا تسمية المسلم عليهم زائرا ولولا أنهم لا يشعرون به لما صح تسميته زائرا فإن المزور إذا لم يعلم بزيارة من زاره لم يصح أن يقال زاره هذا هو المعقول من الزيارة عند جميع الأمم وكذلك السلام عليهم فإن السلام على من لا يشعر ولا يعلم بالمسلم محال فهذا السلام والخطاب والنداء لموجود يسمع ويخاطب ويعقل ويرد وإن لم يسمع المسلم الرد وإذا صلى الرجل قريبا منهم شاهدوه وعلموا صلاته وغبطوه على ذلك قال يزيد بن هارون أخبرنا سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي أن ابن ساسب خرج في جنازة في يوم وعليه ثياب خفاف فانتهى إلى قبر قال فصليت ركعتين ثم اتكأت فوالله إن قلبي ليقظان إذ سمعت صوتا من القبر إليك عني لا تؤذيني فإنكم قوم تعملون ولا تعلمون ونحن قوم نعلم ولا نعمل ولأن يكون لي مثل ركعتين أحب إلي من كذا وكذا فهذا قد علم باتكاء الرجل على القبر وبصلاته ثم ذكر على هذه المسألة آثارا وأخبارا كثيرة ثم اعلم أن عايشة أم المؤمنين أنكرت سماع أهل القليب الكفار فظن بعض من لا علم عنده أنها أنكرت سماع الموتى مطلقا حتى المؤمنين بل جعله بعض الجهلة ساريا حتى على الشهداء وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وذلك غفلة منهم عن تحرير محل النزاع وتشبث منهم بما ليس لهم فيه انتفاع فإن إنكارها خاص بالكفار فقط ظنا منها أن السماع الثابت بنصه صلى الله عليه وسلم لأهل القليب هو السماع المذكور في الآيتين إنك لا تسمع الموتى وما أنت بمسمع من في القبور وليس كذلك كما قاله أساطين العلماء لأن السماع المنفي في الآيتين هو سماع القبول والاذعان للإيمان وقد شبه الله الكفار الأحياء الذين لهم أسماع وأبصار وعقول بالأموات لا من حيث انعدام الإدراكات والحواس بل من حيث عدم قبولهم

الهدى والإيمان وذلك أن الميت من حين تصل روحه للغرغرة ويشاهد منزلته بشخص بصره لمنزلته إلى الآخرة لا ينفعه الإيمان لو آمن فيقول الله تعالى إن الناس الذين كتب الله عليهم الشقاوة الأزلية لا ينفعهم دعائك لهم إلى الإيمان كما لا ينفع أهل القبور الإيمان لأن أهل القبور قد رأوا عيانا ما هو مطلوب منهم أن يؤمنوا بالغيب فإذا وصلوا إلى الموت لا يقبل منهم الإيمان فالسماع هنا هو القبول تقول فلان أمرته بكذا فما سمع أي ما قبل وإن كان سامعا بحاسة إذنه فكذلك الكفار نزلت الآياتان فيهم وهم أحياء لهم أبصار وأسماع لكن لكونه تعالى ختم على قلوبهم بالشقاء أخبر تعالى أنك يا محمد لا تسمعهم أي لا يقبلون منك الإيمان كما أن أهل القبور لا يقبل منهم الإيمان فالسماع الثابت في الأحاديث الصحيحة سماع الحاسة والسماع المنفي في الآيتين

سماع القبول وهذا ظاهر لمن ألقى السمع وهو شهيد والدليل على هذا أن الله تعالى بعد قوله إنك لا تسمع الموتى قال إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فأثبت للمؤمنين السماع الذي هو بمعنى القبول فمن جعل السماع المنفي في الآية بمعنى سماع الحاسة قلنا له فقد أثبت الله على قولك للمؤمنين وهو مطلوبنا فيكون ثبوت السماع بنص القرآن فكيف تجحد نص القرآن كما جحدت نص الحديث الذي ما بعد كتاب الله أصح منه والدليل على أن عايشة إنما أنكرت سماع الكفار فقط ما ثبت عنها في الحديث المتقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد السلام عليه حتى يقوم فهذا أثبت له الرؤية المستلزمة للاستئناس ورد السلام عليه المستلزم لسماع السلام وقوله حتى يقوم متعلق باستأنس على أن عايشة رضي الله عنها نفت السماع عن الكفار وأثبتت لهم العلم فقالت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنهم الآن ليعلمون أن ما قلت حق وقال علماء الأمة إن العلم يستلزم السماع ولا ينافيه كما حققه ابن تيمية وابن القيم وابن رجب والسيوطي وغيرهم لأن الموت لو كان عدما محضا كما يزعم الجهلة لانتفى عن الميت جميع الإدراكات فإذا أثبتت عايشة العلم بالنص المروي عنها كما في البخاري تحقق أنها تثبت الإدراكات لكن ظنت أن السماع الذي أثبتته الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم سماع القبول والهدى وهو لا ينفع اتفاقا بل هو الحق الجامع

بين أقوال الصحابة وقولها والجامع بين قولها في روايتها حديث الزيارة فإن قلت فقد ذكر ابن الهمام في شرح الهداية أن أكثر مشايخه الحنفية ذكروا في باب الإيمان أن الميت لا يسمع لو حلف لا يكلمه فكلمه ميتا لا يحث فقال المحقق شيخ علي القاري الحنفي في شرح المشكاة في شرح حديث أهل القليب أقول هذا منهم مبني على أن مبني الإيمان على العرف فلا يلزم منه نفي حقيقة السماع كما قالوا فيمن حلف لا يأكل اللحم وأكل السمك مع أنه تعالى سماه لحما طريا أقول وهذا كذلك فإن من حلف لا يكلم زيدا وكان ميتا فكلمه لا يحث لأن التكلم المراد منه المتعارف الذي يكون فيه محاورة بأخذ الكلام ورده ولما كان الميت يسمع ولا يرد ردا متعارفا بل ردا نؤمن به ولا نسمعه غالبا لم يحصل حقيقة التكلم العرفي فلهذا قالوا لا يحث لا لأن الميت لا يسمع وهذا ظاهر قال ابن الهمام وأجابوا عن هذا الحديث يعني حديث خطاب النبي صلى الله عليه وسلم لأهل القليب وقسمه بالله أن الأحياء ليسوا بأسمع منهم تارة بأنه مردود من عايشة قالت كيف يقول صلى الله عليه وسلم ذلك والله يقول وما أنت بمسمع من في القبور إنك لا تسمع الموتى قال الشيخ علي القاري والحديث المتفق عليه لا يصح أن يكون مردودا لا سيما ولا منافاة بينه وبين القرآن فإن المراد من الموتى الكفار والنفي منصب على نفي النفع لا على مطلق السمع كقوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون يعني مع كونهم لهم أسمع وأبصار لكن لكونهم لا يسمعون الإيمان والهدى ولا يرونه جعلهم الله كالصم والعمى أو على نفي الجواب المترتب على السماع قال البيضاوي في قوله تعالى لا تسمع الموتى وهم مثلهم لما سدوا مشاعرهم عن الحق إن الله يسمع من يشاء أي هدايته فيوفقهم لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما أنت بسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالأموات ومبالغة في إقناعهم (انتهى) فالآية من قبيل أنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ثم قال ابن الهمام وتارة بأن تلك خصوصية له صل الله عليه وسلم قال الشيخ علي القاري ويرده أن الاختصاص لا يصح إلا بدليل وهو مفقود هنا بل السؤال والجواب ينافيانه وقال ابن الهمام وتارة بأنه من ضرب المثل قال الشيخ علي القاري ويدفعه جوابه

صل الله عليه وسلم ثم قال ابن الهمام ويشكل عليهم يعني مشايخه خبر مسلم أن الميت ليسمع قرع نعال المشيعين إذا انصرفوا اللهم إلا أن يخصوا ذلك بأول الوضع في القبر للسؤال جمعا بينه وبين الآيتين فإنهما يفيدان تحقق عدم سماعهم فإنه تعالى شبه الكفار بالموتى لإفادة بعدم سماعهم وهو نوع عدم سماع الموتى انتهى قال الشيخ علي القاري وهو كما ترى فيه نوع نقض ووجهه أنه إذا حصل السماع لأهل القبور في بعض الأحوال ثبت في كلها إذ لا نص ينفي ذلك في بقية الأحوال ثم بثبوت البعض ينتقض عموم الآيتين فتتناقض مع الأخبار الصحيحة على أن الحنفية قد أطبقوا على سنية السلام على أهل القبور في كل وقت قال العلامة ابن ملك في شرح المصابيح في شرح حديث السلام على أهل القبور ما نصه ومما يرد على هذا البعض القائلين بعدم سماع الموتى ما ورد في الحديث الذي أخرجه أحمد وأبو داود في سننه والحاكم في المستدرک وابن أبي شيبة في المصنف والبيهقي في كتاب عذاب القبر والطيالسي وعبد ابن حميد في مسنديهما وهناد ابن السرى في الزهد وابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهم من طرق صحيحة عن البراء بن عازب رضي الله عنه في فتنة القبر والسؤال وفي آخر الحديث في المؤمن يناد مناد من السماء صدق عبدي فافرشوا له من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا من الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول ابشر بالذي يسرك فيقول له من أنت فوجهك الوجه الذي يأتي بالخير فيقول أنا عمك الصالح فيقول رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي وما لي وفي الكافر عكس هذا فهذا يدل على أن الميت يسمع ويبصر ويشم ويتكلم ويعقل ويفهم ويخاطب ويراجع الخطاب وكل هذه أمور واقعة بعد السؤال وهي مما أجمع عليها العلماء وهذا حديث متواتر كما ذكره الإمام السيوطي وهذا يدل على أن السلام عليهم كهو على الإحياء وأنهم يسمعون انتهى وقال في الفتاوى الهندية ولا بأس بزيارة القبور وهو قول أبي حنيفة وظاهر قول محمد يقتضي الجواز للنساء أيضا وفي التهذيب يستحب زيارة القبور وكيفية الزيارة كزيارة ذلك الميت في حياته من القرب والبعد كذا في خزنة المفتين



وإذا أراد زيارة القبور يخلع نعليه ثم يقف مستقبلاً لوجه الميت مستدبراً للقبلة ويقول السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم أنتم لنا سلف ونحن بالأثر كذا في الغرائب ولا بأس أن يقرأ على المقابر سورة الملك سواء أخفى أو جهر وأما غيرها فإنه يقرأ في المقابر ولم يفرق بين الجهر والحنفية كذا في الذخيرة في فضل قراءة القرآن عند القبور أن نومي أن يؤنسه صوت القرآن فإنه يقرأ وإن لم يقصد ذلك فإن الله يسمعه قراءة القرآن حيث كانت كذا في فتاوى قاضي خان انتهى وفي البزازية قطع الحشيش الرطب من المقابر يكره لأنه يسبح ويندفع به العذاب عن الميت ويستأنس به الميت انتهى وكذا في إمداد الفتاح للشرنبلالي وسائر كتب الحنفية فإذا ثبت أن الميت يسمع تسبيح نحو الحشيش الذي لا يدرك للأحياء بنص الأئمة الذين هم عمدة أهل الفتوى كيف ينفي السماع عن صوت المنادى له بل مراد ذلك البعض منهم كما قال الشيخ علي القاري أنها مبنية على المتعارف فذهب الإشكال ولم يلزم التناقض في باب الإيمان في أقوالهم وحصل الإيمان بقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الأخبار الصحيحة الثابتة وحصل الإجماع ولله الحمد على أنه لو فرضنا أن القائل بعدم السماع هو الإمام نفسه فهو قد ثبت عنه أنه قال كما قال غيره من الأئمة إذا صح الحديث فهو مذهبي بل المشهور من مذهبه الأخذ بالمرسل والضعيف اعتناء بشدة المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن المخالفة للأحاديث الصحيحة المستفيضة فهذا البغض من المشايخ يتبين عذره فلا يجوز لأحد أن يترك الحديث الصحيح الوارد عنه صلى الله عليه وسلم ويأخذ بقول غيره ولقد أحسن الحافظ الذهبي حيث يقول العلم قال الله قال رسوله \* إن صح والإجماع فاجهد فيه وحذار من نصب الخلاف جهالة \* بين الرسول وبين رأي فقيه وقد أطبق الأئمة الحنفية على سنية زيارة النبي صلى الله عليه وسلم وزيارة صاحبيه رضي الله عنهما والسلام عليهم وطلب الشفاعة منهم فلو كانوا قائلين بعدم سماع مثل النبي والصاحبين لكان كلامهم متناقضاً بل بقولهم بسنية زيارة القبور مطلقاً يحصل التناقض لكن كما قال الشيخ علي القاري إن كلامهم

في باب الإيمان مبني على المتعارف فارتفع الإشكال وزال التناقض (فائدة) قال ابن تيمية في كتاب الانتصار للإمام أحمد رضي الله عنه وإنكار عايشة سماع أهل القلب الكفار معذورة فيه لعدم بلوغها النص وغيرها لا يكون معذورا مثلها لأن هذه المسألة صارت معلومة من الدين بالضرورة انتهى فيلزم من قوله هذا إن الذي ينكر سماع الكفار يكفر لأن جاحد المعلوم من الدين بالضرورة يكفر كما في جميع كتب المذاهب على أن البعض الذي أنكر إنما هو في حق الكفار كما قالته عايشة رضي الله عنها وأما النبي صلى الله عليه وسلم والشهداء وأولياء أمنه فلم يقل أحد بإنكار سماعهم لا عايشة ولا غيرها وحينئذ تعلم سوء ما تجاهر به بعض الجهلة في زماننا من إطلاق عدم السماع حتى في حق النبي صلى الله عليه وسلم والأمر لله الواحد القهار وقال ابن تيمية أيضا في الفتاوى مسألة في الأحياء إذا زاروا الأموات هل يعلم الأموات بزيارتهم وهل يعلمون يا الميت إذا مات من قرايبهم أو غيره أم لا الجواب نعم قد جاءت الآثار بتلاقيهم وتساؤلهم وعرض أعمال الأحياء على الأموات كما روى ابن المبارك عن أبي أيوب الأنصاري قال إذا قبضت نفس المؤمن تلقاها أهل الرحمة من عباد الله كما يتلقون البشير في الدنيا فيقبلون عليه ويسألونه فيقول بعضهم لبعض انظروا أحاكم يستريح فإنه كان في كرب شديد قال فيقبلون عليه ويسألونه ما فعل فلان ما فعلت فلانة هل تزوجت الحديث وأما علم الميت بالحكي إذا زاره ففي حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام قال ابن عبد البر ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وصححه عبد الحق صاحب الأحكام وأما ما أخبر به الله من حياة الشهيد ورزقه وما جاء في الحديث الصحيح من دخول أرواحهم الجنة قد ذهب طوائف إلى أن ذلك مختص بهم دون الصديقين وغيرهم والصحيح الذي عليه الأئمة وجماهير أهل السنة أن الحياة والرزق ودخول الأرواح الجنة ليس مختصا بالشهيد كما دل على ذلك النصوص الثابتة واختص الشهيد بالذكر لكون الظان يظن أنه يموت فينكل عن الجهاد فأخبر بذلك لتزول الشبهة المانعة عن الإقدام على الجهاد والشهادة كما نهى عن قتل الأولاد خشية الاملاق لأنه هو الواقع وإن كان قتلهم لا يجوز

مع عدم خشية الاملاق انتهى فهذا نص من شيخ هؤلاء الذين يزعمون أنهم متبعون له وهم أجهل الخلق بنصومه ومقاصده أن سائر الأموات حياتهم كحياة الشهداء ورزقهم رزق الشهداء فكيف الذي يكون عيالا على أقواله يزعم شيئا يخالف أقواله فيجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسمع ولا يرى ولا يعلم ولا يعرف من زاره وناداه لكن هؤلاء غير متبعين لأحد بل هم متبعون هواهم وفقهم الله وهداهم أما نصوص رؤية الموتى للأحياء ففي البخاري ما من ميت إلا يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار والعرض يقتضي الرؤية لمقامه قال الله تعالى في حق آل فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب فلو لم ير الميت لم يحصل فائدة من العرض وأخرج أبو نعيم عن عمرو بن دينار ما من ميت يموت إلا روحه في يد ملك ينظر إلى جسده كيف يغسل وكيف يكفن وكيف يمشي به ويقال له وهو على سريره اسمع ثناء الناس عليك وأخرج ابن أبي الدنيا عن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده وأنهم ليغسلونه ويكفنونه وأنه لينظر إليهم وفي الحديث الصحيح في البخاري أن منكرا ونكيرا يقولان للميت بعد المسائلة انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به من الجنة فيراهما جميعا وأخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة قال إذا مر الرجل بقبر يعرفه فسلم رد عليه السلام وعرفه وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم رد عليه انتهى ففهم من هذا الحديث أن الميت يرى من يزوره ويقرب من قبره لأنه لو لم ير لما عرف من كان يعرف وما عرف من لا يعرفه في الدنيا ففي الأول يرد عليه ويعرفه وفي الثاني يرد عليه السلام ولم يعرفه لأنه في الدنيا ما كان يعرفه وأخرج أحمد والحاكم عن عائشة قالت كنت أدخل البيت فأضع ثوبي وأقول إنما هو أبي وزوجي فلما دفن عمر ما دخلته إلا أنا مشدودة على ثيابي حياء من عمر وفي الأربعين الطائية روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أنس ما يكون الميت في قبره إذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا فهذا يدل على رؤيته لمن يزوره وإلا فكيف يستأنس الميت بمن لم يره وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص أنه قال في مرض موته إذا دفنتموني فشنوا

على التراب شنا وأقيموا عند قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها أنس بكم وانظر ماذا أراجع به رسل ربي وفي هذا الباب آثار كثيرة هذه عمدتها فلا يحتاج إلى الإطالة ويدل على هذا الباب باب عرض أعمال الأحياء على الموتى فإنهم لو لم تكن لهم الرؤية لما صح عرض الأعمال عليهم لأن الظاهر أن المراد بعرضها عرض صحايفها التي تكتبها الحفظة من الملائكة وذلك يستدعي نظرا فلأجل هذه المناسبة أحببنا إرداف باب الرؤية بباب عرض الأعمال على الموتى (اعلم) أن هذا الباب أكثر الناس لا يعلمه لعدم اطلاعهم على السنة النبوية والأحاديث المروية في هذه القضية وكان بعض من يدعي العلم في زعمه وهو أجهل من هبنقه يقول كيف يعلم الأنبياء والأولياء بمن يستشفع بهم ويناديهم فقلت له هم مكشوف لهم في الدنيا وهم على ما هم عليه بعد موتهم أو يكون ذلك على وجه الكرامة بخرق العادة وهي ثابتة لهم أو بعرض الأعمال الواردة في الأحاديث فأنكر ذلك فأتيته بكتب الحديث المصنفة في أحوال أهل القبور فلما رآها وكان لا يعرفها قال هذا في الأقارب فقط فقلت في الأحاديث والآثار ما يدل على الأقارب والأجانب فعاند حتى مات فيها نذكر لك الوارد وليس علينا غير تصحيح نقلنا فمن كان لا يصغي له فهو جاحد فأما عرض الأعمال من الأمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فروى البزاز بسند رجاله رجال الصحيح عن ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم قال حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم فإذا أنا مت كانت وفاتي خير لكم تعرض على أعمالكم فإن رأيت خيرا حمدت الله وإن رأيت شرا استغفرت لكم روي مرفوعا وله طريق آخر مرسلا عن بكر بن عبد الله المزني عن بن عباس وغيره وأما عرض الأعمال على الأقارب فأخرج أحمد والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن منده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشايركم من الأموات فإن رأوا خيرا استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا وأخرج الطيالسي في مسنده عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أعمالكم تعرض على عشايركم وأقاربكم في قبورهم فإن كان خيرا استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف

والحكيم الترمذي وابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن ميسرة قال غزا أبو أيوب القسطنطينية فمر بقاص وهو يقول إذا عمل العبد العمل في صدر النهار عرض على معارفه إذا أمسى من أهل الآخرة وإذا عمل العمل في آخر النهار عرض على معارفه إذا أصبح من أهل الآخرة فقال أبو أيوب انظر ما تقول قال والله إنه لكما أقول فقال أبو أيوب اللهم إني أعوذ بك أن تفضحني عند عبادة ابن الصامت وسعد بن عبادة بما عملت بعدهم فقال القاص والله لا يكتب ولايته لعبد إلا ستر عوراته وأثنى عليه بأحسن عمله وأخرج الحكيم الترمذي في نوادره من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الأعمال يوم الاثنين ويوم الخميس على الله وتعرض على الأنبياء وعلى الأولياء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضا وإشراقا فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم وأما عرض الأعمال على الأجانب فأخرج ابن المبارك وابن أبي الدنيا عن أبي أيوب قال تعرض أعمالكم على الموتى فإن رأوا حسنا استبشروا وإن رأوا سوءا قالوا اللهم راجع بهم وأخرج الحكيم الترمذي وابن أبي الدنيا والبيهقي في شعب الإيمان عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا الله في إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم وهذا الحديثان عامان في مطلق الموتى وعن أبي الدرداء قال إن أعمالكم تعرض على موتاكم ينسرون ويساؤون ويدل على ما قلنا من العموم ما ذكره ابن القيم في كتابه الروح عن ابن أبي الدنيا قال حدثني محمد بن الحسين حدثني خالد بن عمرو الأموي حدثنا صدقة بن سليمان الجعفري قال كانت لي شرة سمجة فمات أبي فأبت وندمت على ما فرطت قال ثم زلت أيما زلة فرأيت أبي في المنام فقال أي بني ما كان أشد فرحي بك وأعمالك تعرض علينا فنشبهها بأعمال الصالحين فلما كانت هذه المرة استحيت لذلك حياء شديدا فلا تخزني فيمن حولي من الأموات قال فكنت أسمع بعد ذلك يقول في دعائه في السحر وكان لي جار بالكوفة أسألك إنابة لا رجعة فيها ولا حور يا مصلح الصالحين ويا هادي المضلين ويا أرحم الرحمين ففي هذا الأثر دلالة أن الموتى الأجانب يطلعون على أعمال غير الأقارب

لأن الذي تعرض أعماله عليه هو أبوه فقال لولده لا تخزني فيمن حولي من الأموات فلولا أنهم يطلعون معه على عمل ابنه بالعرض لما قال ذلك وقد تقدم في حديث أيوب تعرض على معارفه وهم الذين يعرفونه أعم من الأقارب وفي هذا القدر كفاية لمن شرح الله صددته بالإيمان (باب تزاور الموتى وتلاقيهم) أخرج الحارث ابن أبي أسامة والوايلي في الإبانة والعقيلي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يتباهون ويتزاورون في قبورهم وفي صحيح مسلم إذا ولي أحدكم أخاه فليحسن كفنه يعني لعله التزاور والتباهي به وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يتزاورون في أكفانهم وأخرج الترمذي وابن ماجه ومحمد بن يحيى الهمداني في صحيحه وابن أبي الدنيا والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي قتادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ولي أحدكم أخاه فليحسن كفنه فإنهم يتزاورون في قبورهم وقال ابن تيمية في الفتاوى في مواضع متعددة ويتزاورون سواء كانت المدائن متقاربة في الدنيا أو متباعدة قد تجتمع الأرواح مع تباعد المدائن انتهى وقد ذكر ذلك الأئمة الحنفية في كتبهم الفقهية وهو أنه يسن تحسين الكفن لأن الموتى يتفاخرون به ويتزاورون بل قال به جميع فقهاء المذاهب وفي هذا الباب آثار كثيرة وأخبار عجيبة غزيره إن أردتها فارجع إلى شرح الصدور للإمام الحافظ السيوطي فإنه جمع فأوعى (باب علم الموتى بأحوال أهل الدنيا من غير طريق عرض الأعمال قال ابن القيم في كتاب الروح (فصل) وقد ترجم الحافظ أبو محمد عبد الحق الإشبيلي على هذا فقال ذكر ما جاء أن الموتى يسئلون عن الأحياء ويعرفون أقوالهم وأعمالهم ثم ذكر بعد ورقة فقال صح عن عمرو بن دينار أنه قال ما من ميت يموت إلا وهو يعلم بما يكون في أهله وأنهم يغسلونه ويكفنونونه وأنه لينظر إليهم ثم بعد ورقة قال وصح عن حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب أن الصعب بن جثامة وعوف بن مالك كانا متواخيين فقال الصعب لعوف أي أخي أين مات قبل صاحبه فاليترايا له قال أو يكون ذلك قال نعم فمات صعّب فرآه عوف فيما يرى النائم كأنه قد أتاه قال قلت أي أخي قال نعم قلت ما فعل الله بك

قال غفر لنا بعد المشارب ثم بعد كلام قال واعلم أي أخي أنه لم يحدث في أهلي حدث بعد إلا وقد لحق بي خبره حتى هرة ماتت لنا منذ أيام واعلم أن بنتي تموت إلى ستة أيام فاستو صوابها معروفًا ثم كان كما أخبر ثم ذكر حديث ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه وإتيانه لأحد من في عسكر خالد ابن الوليد وقوله له إني أوصيك بوصية فإياك أن تقول هذا حلم إني لما قتلت مر بي رجل من المسلمين فأخذ درعي ومنزله في أقصى الناس وعند خبائه فرس يستن في طوله أي يرعى في رسنه الطويل وقد كفى على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأت خالد بن الوليد فقل له يأخذ درعي فأخبر الرجل خالدًا فوجد الدرع كما وصف فأخذه وقال الحافظ السيوطي في شرح الصدور (باب تأذي الميت) بما يبلغه عن الأحياء أخرج الديلمي عن عايشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الميت يؤذيه في قبره ما يؤذيه في بيته قال القرطبي في التذكرة يجوز أن يكون الميت يبلغه من أفعال الأحياء وأقوالهم ما يؤذيه بلطفة يحدثها الله تعالى له من ملك مبلغ أو علامة أو دليل وما شاء الله وقال ابن القيم في كتاب الروح وقد دل على التقاء أرواح الأحياء والأموات أن الحي يرى الميت في منامه فيستخبره ويخبر الميت بما لا يعلمه الحي فيصادف خبره كما

أخبر في الماضي والمستقبل وربما أخبره بمال دفنه الميت في مكان لم يعلم به سواه وربما أخبره بدين عليه وذكر له شواهد وأدلته وأبلغ من هذا أنه أخبره بما عمله من عمل لم يطلع عليه أحد من العالمين وأبلغ من هذا أنه يخبره أنك تأتينا في وقت كذا فيكون كما أخبر وربما أخبره عن أمور يقطع الحي أنه لم يكن يعرفها غيره وقد ذكرنا قصة الصعب بن جثامة وقصة ثابت بن شماس إلى آخر ما قال وذكر السيوطي في شرح الصدور عن محمد بن سيرين رضي الله عنه قال ما أخبرك الميت بشيء فهو حق لأنه في دار الحق فهو لا ينطق إلا بالحق انتهى وهذا من المحربات كما ذكره ابن القيم وغيره وهذا من باب كشف الغطاء وإطلاعه على ذلك من لطافة الروح فيعلم ذلك في تلك الدار التي هي محل العلم من الله تعالى وأخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل عن سليمان قال دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت ما يبكيك قالت

رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام يبكي وعلى رأسه ولحيته  
التراب فقلت مالك يا رسول الله قال شهدت قتل الحسين آنفا ذكره السيوطي في شرح  
الصدور وكذا الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح وأخرج ابن أبي الدنيا من  
طريق أبي بكر بن عياش عن حفار من بني أسد قال كنت في المقابر ليلة إذ سمعت  
قائلا

يقول من قبر يا عبد الله قال مالك يا جابر قال غدا تأتينا أمنا قال وما ينفعنا لا تصل إلينا  
إن أبي قد غضب عليها وحلف أن لا يصلي عليها فلما كان من الغد جاءني رجل  
فقال احفر لي هاهنا قبرا بين القبرين الذين سمعت منهما الكلام فقلت اسم  
هذا جابر واسم هذا عبد الله قال نعم فأخبرته بما سمعت قال نعم قد كنت  
حلفت أن لا أصلي عليها فلا أكفرن عن يميني ولا صلين عليها (باب ما ورد  
من تصرف الموتى وصدور أمور منهم بقدره الله تعالى) قال الحافظ السيوطي  
في كتابه المتقدم قال الحافظ بن حجر في فتاواه أرواح المؤمنين في عليين  
وأرواح الكفار في سجين ولكل روح بجسدها اتصال معنوي لا يشبه  
الاتصال في حياة الدنيا بل أشبه شئ به حال النائم وإن كان هو أشد  
حالا من حال النائم اتصالا قال وبهذا يجمع بين ما ورد أن مقرها في عليين  
وسجين وبين ما نقله ابن عبد البر إنها عند أفنية قبورها قال ومع ذلك فهي  
مأذون لها في التصرف وتأوي إلى محلها من عليين أو سجين قال وإذا نقل  
الميت من قبر إلى قبر فالإتصال المذكور مستمر وكذا لو تفرقت الأجزاء انتهى  
قال السيوطي قلت ويؤيده ما ذكره من الإذن بالتصرف مع كون المقر في  
عليين ما أخرجه ابن عساكر من طريق ابن إسحاق قال حدثني الحسين  
ابن عبد الله ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعد قتل  
جعفر لقد مر بي الليلة جعفر يقتني نفرا من الملائكة له جناحان متخضبة  
قوادمهما بالدم يريدون بيثه بلدا باليمن وأخرج ابن عدي من حديث علي بن  
أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرفت جعفر في رفقة من  
الملائكة يبشرون أهل بيثة بالمطر وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال بينما  
النبي صلى الله عليه وسلم جالسا وأسماء بنت عميس قريبا منه إذ رد السلام  
وقال يا أسماء هذا جعفر مع جبرئيل وميكائيل مروا فسلموا علينا وأخبرني  
أنه لقي المشركين يوم كذا ويوم كذا قال فأصبت في جسدي من مقادمي ثلاثا



وسبعين من طعنة وضربة ثم أخذت اللواء بيدي اليمن فقطعت ثم أخذته بيدي اليسرى فقطعت فعوضني الله من يدي جناحين أطير بهما مع جبرئيل وميكائيل أنزل من الجنة حيث شئت وأكل من ثمارها ما شئت قالت أسماء هنيئا لجعفر ما رزقه الله من الخير لكني أخاف أن لا يصدقني الناس فأصعد المنبر فأخبر به الناس فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن جعفر ابن أبي طالب مر مع جبرئيل وميكائيل عوضه الله من يديه جناحين فسلم على ثم أخبرهم بما أخبره به فهذه الأحاديث تدل على أن الله تعالى يأذن لعباده الشهداء وغيرهم من الصالحين في بعض الأمور التي ينتفع بها الناس وفي هذا آثار كثيرة ذكرها علماء الحديث عن السلف منها ما ذكره السيوطي قال أخرج ابن أبي الدنيا من طريق يزيد بن سعيد القرشي عن أبي عبد الله الشامي قال غزونا الروم فخرج منا ناس يطلبون أثر العدو فانفرد منهم رجلان قال أحدهما فيينا نحن كذلك إذ لقينا شيخ من الروم فقال ابرزوا فحملنا عليه فاقتتلنا ساعة فقتل صاحبي فرجعت أريد أصحابي فبينما أنا راجع إذ قلت لنفسي ثكلتك أمك سبقني صاحبي إلى الجنة وارجع هاربا إلى أصحابي فرجعت إليه فضربته فأخطأته فحملني وضرب بي الأرض وجلس على صدري وتناول شيئا معه ليقتلني به فجاء صاحبي المقتول فأخذ بشعر قفاه فألقاه عني وأعانني على قتله فقتلناه جميعا ولجعل صاحبي يمشي ويحدثني حتى انتهينا إلى شجرة فاضطجع مقتولا كما كان فجئت إلى أصحابي فأخبرتهم وقد ذكر هذا الأثر الزندوسي صاحب روضة الأخيار من الحنيفة وصاحب زبدة الفقهاء أيضا وأخرج المحاملي في أماليه عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمه قال بينما رجل في اندر له بالشام ومعه زوجته وقد كان استشهد ابن لهما قبل ذلك بما شاء الله إذ رأى الرجل فارسا قد أقبل فقال لامرأته ابني وابني يا فلانة قالت له احسأ الشيطان ابنك قد استشهد منذ حين وأنت مفتون فأقبل على عمله واستغفر ثم نظر ودنى الفارس فقال ابنك والله يا فلانة ونظرت وقالت هو والله فوقف عليها فقال له أبوه أليس قد استشهدت يا بني قال بلى ولكن عمر بن عبد العزيز توفي هذه الساعة فاستأذن الشهداء ربهم في شهوده فكنت منهم واستأذنته في السلام عليكما ثم دعى إليهما وانصرف

ووجد عمر قد توفي تلك الساعة قال السيوطي فهذه آثار مسندة خرجها أئمة الحديث بأسانيدهم في كتبهم أوردتها تقوية لما حكاه الياضي وتصديقا له انتهى وقد كان ذكر في هذا الباب أشياء كثيرة من هذا النمط من أراد الاطلاع فليرجع إليه ثم قال قال الياضي رؤية الموتى في خير وشر نوع من الكشف يظهره الله بشرا أو موعظة أو لمصلحة للميت من إيصال خبر إليه وقضاء دين أو غير ذلك ثم هذه الرؤية قد تكون في النوم وهو الغالب وقد تكون في اليقظة وذلك من كرامات الأولياء أصحاب الأحوال وقال في موضع آخر مذهب أهل السنة أن أرواح الموتى ترد في بعض الأوقات من عليين أو سجين إلى أجسادهم في قبورهم عند إرادة الله تعالى وخصوصا ليلة الجمعة ويجلسون ويتحدثون وينعم أهل النعيم ويعذب أهل العذاب قال ويختص الأرواح دون الأجساد بالنعيم والعذاب ما دامت في عليين أو سجين وفي القبر يشترك الروح والجسد انتهى وقال ابن القيم في كتاب الروح ومما ينبغي أن يعلم أن ما ذكرناه من شأن الروح يختلف بحسب حال الأرواح من القوة والضعف والكبر والصغر فللروح العظيمة الكبيرة من ذلك ما ليس لمن دونها وأنت ترى أحكام الأرواح في الدنيا كيف تتفاوت أعظم تفاوت بحسب الأرواح وكميائتها وقواها وبطائها وإسراعها والمعونة لها فللروح المطلقة من أسر البدن وعلايقه وعوايقه من التصرف والقوة والنفاد والهمة وسرعة الصعود إلى الله تعالى والتعلق بالله تعالى ما ليس للروح المهينة المحبوسة في علايق البدن وعوايقه فإذا كانت هكذا وهي المحبوسة في بدنها فكيف إذا تجردت وفارقت واجتمعت فيها قواها وكانت في أصل شأنها روحا عليية زكية كبيرة ذات همة عالية فهذه لها بعد مفارقة البدن شأن آخر وفعل آخر وقد تواترت الرؤيا من أصناف بني آدم على فعل الأرواح بعد موتها ما لا يقدر على مثله حال اتصالها بالبدن من هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد والاثنين والعدد القليل ونحو ذلك وكم قد رؤى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في النوم قد هزمت أرواحهم عساكر الكفر والظلم فإذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عددهم وضعف المؤمنين وقتلهم انتهى ويوافق هذه النقول من فسر قوله تعالى والمدبرات

أمرا بأرواح الكمل بعد المفارقة كما ذكر جملة من المفسرين منهم البيضاوي وتبعه على ذلك المحشون والله أعلم (باب اطلاع بعض الأحياء) على حال أهل القبور من نعيم أو عذاب فرآه بعين رأسه أنموذجا لما أخبر الله تعالى ورسوله فرأوا الأجساد منعمه أو معذبه وقد اتفق أهل السنة والجماعة على نعيم القبر وعذابه وأنه حق يجب اعتقاده وأن النعيم والعذاب على الروح والبدن كما ذكر ذلك أهل علم العقائد ولا ينكر ذلك إلا المعتزلة والخوارج ثم ورد في الأحاديث النبوية والآثار الصحابية والسلفية ونحن نذكر ما يقوي اعتقاد بعض الجهال ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم أما الأنبياء فقد قدمنا أنهم أحياء طريون في قبورهم يصلون وورد في الصحيحين أنهم يحجون وأما غيرهم فقد أخرج أبو نعيم عن يوسف بن عطية قال سمعت ثابتا البناني يقول لحميد الطويل هل بلغك أن أحدا يصلي في قبره إلا الأنبياء قال لا قال ثابت اللهم إن أنت أعطيت لأحد أن يصلي في قبره فأذن لثابت أن يصلي في قبره وأخرج أيضا عن جبير قال أنا والله الذي لا إله إلا هو أدخلت ثابتا البناني لحده ومعني حميد الطويل فلما سوينا عليه اللبن سقطت لبنة فإذا أنا به يصلي في قبره وأخرج ابن جرير في تهذيب الآثار وأبو نعيم عن إبراهيم بن الصامت المهلب قال حدثني الذين كانوا يمرون بالحاصف في الأسحار قالوا كنا إذا مررنا بجنبات قبر ثابت البناني سمعنا قراءة القرآن ومثله في صفة الصفوة لابن الجوزي وأخرج الترمذي والحاكم والبيهقي عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خبائه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي المنجية تنجي من عذاب القبر قال أبو القاسم السعدي في كتاب الروح هذا تصديق من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الميت يقرأ في قبره فإن عبد الله يعني ابن عمر وهو الذي ضرب خباه وسمع أو خبره بذلك وصدقه الرسول صلى الله عليه وسلم قال الحافظ زين الدين بن رجب في كتاب أهوال القبور قد يكرم الله بعض أهل البرزخ بأعماله الصالحة في البرزخ وإن لم يحصل له بذلك ثواب الانقطاع عمله بالموت لكن إنما يبقى عمله عليه ليتنعم بذكر الله وطاعته كما

تتنعم بذلك الملائكة وأهل الخير في الجنة لأن نفس الذكر والمناعة أعظم  
نعيمًا عند أهلها من جميع نعيم أهل الدنيا ولذتها فما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله  
تعالى وطاعته ومثل ذلك ذكر ابن القيم في كتاب الروح وابن تيمية وغيرهم  
والسيوطي في شرح الصدور وروى أبو الحسن بن البراء في كتاب  
الروضة عن عبد الله بن محمد بن منصور حدثني إبراهيم الحفار قال حفر  
قبرا فبدت لبنة فشممت رائحة المسك حين انفتحت اللبنة فإذا شيخ جالس في قبره  
يقرأ القرآن وأخرج ابن منده عن عاصم السقطي قال حفرنا قبرا ببلخ فنجد في  
قبر فنظرت فإذا شيخ في القبر متوجه إلى القبلة وعليه إزار أخضر وأخضر ما حوله  
وفي حجره مصحف وهو يقرأ فيه ثم ذكر آثارا كثيرة مثل ذلك في الكتاب المذكور  
وأخرج الحافظ أبو محمد الخلال في كتابه كرامات الأولياء بسنده عن أبي  
يوسف الغسولي قال دخل على إبراهيم بن أدهم بالشام فقال لي لقد رأيت  
اليوم عجايبا قلت وما ذاك قال وقفت على قبر من هذه المقابر فانشق لي عن شيخ  
خضيب فقال لي يا إبراهيم سل فإن الله أحيانى من أجلك قلت ما فعل الله  
بك قال لقيت الله بعمل قبيح فقال قد غفرت لك بثلاث لقيتني وأنت تحب من  
أحب ولقيتني وليس في صدرك مثقال ذرة من شراب حرام ولقيتني وأنت  
خضيب وأنا أستحي من شبيهة الخضيب أن أعذبها بالنار قال والتأم القبر  
على الشيخ قال إبراهيم ويحك يا غسولي عامل الله يرك العجايب وفي صفة  
الصفوة لابن الجوزي في ترجمة معاذة بسنده إلى أم الأسود بنت زيد  
العدوية وكانت معاذة قد أرضعتها قالت قالت لي معاذة لما قتل أبو الصهباء  
وقتل ولدها والله يا بنية ما محبتي للبقاء في الدنيا للذيذ عيش ولا لروح يشم  
ولكني والله أحب البقاء لأتقرب إلى الله بالوسائل لعله يجمع بيني وبين أبي  
الصهباء وولده في الجنة قال محمد بن الحسين وحدثنا روح ابن سلمة الوراق  
قال سمعت عفيرة العابدة تقول بلغني أن معاذة العدوية لما احتضرت للموت  
بكت ثم ضحكت فقبل لها ثم البكاء وثم الضحك قالت أما البكاء الذي  
رأيت فإني والله ذكرت مفارقة الصيام والقيام والذكر فكان البكاء لذلك  
وأما الضحك فإني نظرت إلى أبي الصهباء وقد أقبل في صحن الدار وعليه  
حلتان خضراوان وهو في نفر والله ما رأيت لهم في الدنيا شيئا فضحكت

إليه ولا أراني أدرك بعد ذلك فرضا فأتت قبل أن تدرك الفريضة ومعادة  
أدركت عايشه رضي الله عنها وروت عنها وروى عن معادة الحسن البصري  
وأبو قلابة ويزيد الرقاشي انتهى وأما رؤية العذاب لبعض الموتى فأخبر الله  
تعالى عن آل فرعون فقال النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وقال صلى الله  
عليه وسلم كما في الصحيحين لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من  
عذاب القبر ما أسمع ولا بد أن يكون العذاب على الروح والجسد لأن الفاعل  
للكفر أو المعاصي إنما هو الروح والجسد فلا يمكن أن تعذب الروح وحدها  
بدونه لأنه غير لائق بالحكمة والعدالة الإلهية قال العلماء فالأجساد وإن  
رؤيت متفتة لبعض الناس فهي في علم الله موجودة ونحن لا نشاهدها وقد  
رأى بعض الصحابة العذاب عيانا لبعض الموتى بأرواحهم وأجسادهم  
ليكون تصديقا لما أخبر الله ورسوله قال ابن القيم في كتاب الروح والسيوطي  
في شرح الصدور وابن رجب في أهوال القبور عن ابن أبي الدنيا عن  
الشعبي أنه ذكر رجلا قال للنبي صل الله عليه وسلم مررت ببدر فرأيت  
رجلا يخرج من الأرض فيضربه رجل بمقمعة حتى يغيب في الأرض ثم  
يفعل به ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك أبو جهل يعذب إلى يوم  
القيامة وذكر من حديث حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن سالم بن عبد الله  
عن أبيه قال بينا أنا أسير بين مكة والمدينة على راحلة وأنا محتب إداوة  
إذ مررت بمقبرة وإذا رجل خارج من قبره يلتهب نارا وفي عنقه سلسلة  
يجرها فقال يا عبد الله اسقني يا عبد الله اسقني فلا أدري أعرف اسمي أم  
دعا بي كما يدعوا الناس قال فخرج آخر فقال يا عبد الله لا تسقه يا عبد الله  
لا تسقه ثم اجتذب السلسلة فأعاده في قبره قال ابن أبي الدنيا وحدثني  
أبي حدثنا موسى بن داود حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه  
قال بينما هو راكب يسير بين مكة والمدينة إذ مر بمقبرة فإذا رجل قد خرج  
من قبره يلتهب نارا مصفدا بالحديد فقال يا عبد الله انضح وخرج آخر يتلوه  
فقال يا عبد الله لا تنضح يا عبد الله لا تنضح وغشي على الراكب وعدلت به  
راحلته إلى العرج قال فأصبح وقد ابيض شعره فأخبر عثمان بذلك فنهي أن  
يسافر الرجل وحده ومثله روى في زمن عمر رضي الله عنه وفي الباب آثار

كثيرة وفي هذا كفاية وهذا يدل على أن أهل النار إذا خرجوا بأجسادهم على وجه الأرض ورأهم من رأيهم يقضه جهارا فما المانع من ذلك في حق أنبياء الله وأوليائه بقدره الله تعالى فهذه بعض أحوال أهل القبور من ساير الناس فكيف بالأولياء والأنبياء فإذا علمت أن ساير الموتى أحياء حياة برزخية وأن الموت كما قال جملة من السلف هو نقلة من دار إلى دار وأن الأنبياء والأولياء المنقولين بسيف المجاهدة لله كالشهداء الوارد فيهم النص القرآني في حياتهم الحقيقية كيف يستغرب طلب التسبب منهم والتشفع والتوسل بدعائهم إلى ربهم أو كرامتهم عليه أو شفاعتهم عنده وهو وليهم في الدنيا والآخرة ولهم فيها ما تشتهي أنفسهم ولهم فيها ما يدعون نزلا من غفور رحيم فهل إذا عامل أحد هؤلاء الذين هذا حالهم معاملة الأحياء يلام على ذلك أو يعاب أو يؤثم أو يكفر أو يشرك مع اعتقاده أن الفعل لله وحده خلقا وإيجادا لا شريك له وأنه يكون من أهل القبور من الأنبياء والأولياء تسببا وكسبا فهل ينكر ذلك إلا من جعلهم ترابا وعظاما وترك ما يجب لهم ويسند إليهم إكراما وإعظاما إلا جاهل بالشرع المحمدي فيحئنذ يقال لهذا المتعيلم الجاهل أحسن حالا منك في معرفته بالشرع والمقصود من هذا أن تعلم الأحاديث الواردة في الطلب من الموتى وأجمع عليها العلماء مبنى أمرها على هذا الأصل فإذا جادل في هذه الأشياء بعض الأشقياء بعد إقامة هذه الأدلة فاتركه وشقائه وأحمد الله الذي رزقك الإيمان بما جاء عن سيد الأكوان وسلف أمته المتبعين له بإحسان وقل الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ولنذكر لك بعض الآيات الدالة على طلب الوسيلة قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وقال في الآية الأخرى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب فقد أمر الله تعالى بابتغاء الوسيلة وفسرها تعالى في الآية الأخرى أعني قوله إنهم يبتغون أيهم أقرب فيتوسلون به إلى الله تعالى وهو عام سواء كان التوسل بدعائه كما يقوله الخوارج أو بشفاعته أو بجاهه أو بكرامته أو بذاته ومن منع بالذات فقد افتري فإن التوسل بالذوات قد صرح به الآيات وقد وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم به الأخبار

الصحيحات أما الآيات فمنها قوله تعالى ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم فقد ذكر المفسرون وذكره البخاري أن الكفار استعجلوا العذاب فقال تعالى ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يعني حلول ذات النبي صلى الله عليه وسلم مانعة من نزول العذاب على الكفار ولا يمكن أن يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم نفعهم بجاهه ولا بدعائه ولا بشفاعته لأن هذه الأشياء لا تكون للكفار وقال بعض السلف في قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون أن معناه ما كان ليعذبهم وفي أصلاهم من يستغفر يعني من قدر الله أن يخرج من صلب الكافر من يستغفر وهو الذي مكتوب أنه يؤمن بالله بعد خروجه من صلب الكافر فجعل الله بقدرته وإرادته وجود النطف المؤمنة في أصلاب الكفار أسبابا لدفع العذاب عنهم ومنها قوله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض قال المفسرون من السلف لولا أن يدفع الله بالمومن عن الكافر وبالطابع عن العاصي لفسدت الأرض فوجود ذوات هؤلاء مانعة من وجود الفساد وقال تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ولا يخفى على مسلم أن السعادة للذوات لا للأعمال ولهذا ورد في الحديث السعيد في بطن أمه والشقي في بطن أمه فليس للأعمال دخل في السعادة إلا بحسب الدلالة ظاهرا لا حقيقة لقوله صلى الله عليه وسلم إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار وحتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وليس الدخول للعمل بل للدلالة كما صرح صلى الله عليه وسلم به في قوله لن يدخل أحد الجنة بعمل قالوا حتى أنت يا رسول الله قال حتى أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته فدخل الجنة قطعا ليس بالأعمال بل بالسعادة السابقة الأزلية وهي بحسب الذوات فاصطفاء ذات نبينا صلى الله عليه وسلم وتفضيلها على جميع الرسل إنما هو باعتبار ذاته الشريفة كما لا يخفى على مؤمن وكذلك الرسل والأنبياء والأولياء فالجاه وغيره إنما هو تبع للذات وليس الذات تابعة للجاه على أنا لو طالبنا المنكر اعتبار الذات بدليل واحد ولو ضعيفا لم يجد إلى ذلك سبيلا فقول هذا المدعي غير معقول ولا يمكن أن يذكر سببا فضلا عن دليل بل الأدلة المتوافرة المتواترة ناهضة على خلاف ما يدعيه أهل الدعاوى الباطلة ففي الحديث

الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال بتربة أرضنا وريقة بعضنا يشفى بإذن ربنا مريضنا فيسن لكل أحد إذا رقي لمريض أن يأخذ من تراب أرضه ويمزجها بريقه ويسقيه للمريض فإنه يشفى بإذن الله تعالى ولا شك أن التراب والريق من الذوات ولا يعقل لها جاه أو دعاء أو شفاة وفي الحديث الصحيح ماء زمزم لما شرب له فمن شرب من ماء زمزم لأي نية أرادها من خير دنيا أو آخره حصل له مقصوده كما هو محرب ولا شك أن ماء زمزم ذات لا يعقل له وجاء ولا دعاء ولا شفاة وكذا ورد في الصحيح وأطبق عليه فقهاء الأمة أن الملتزم عند باب الكعبة من الصق بطنه به وتوسل به إلى الله لا يخيبه الله كما هو محرب ولا يخفى أن الملتزم أحجار وهي ذات جعل الله لها هذه الخاصية وكذا تحت الميزاب وعند مقام إبراهيم وتقبيل الحجر الأسود والتمسح به والتوسل به هو ذات محض وهو أرجى الوسائل إلى الله لقبول المثقلين بالذنوب فكيف يكون لهذه الذوات خاصية يحصل بها المقصود للراجي ونحن إذا دعونا الله بجاه ذات نبينا لا يحصل لنا ولا يرضاه لنا أفقال إن ذات تراب الأرض وريقة البعض وماء زمزم وأحجار الملتزم ومقام إبراهيم أي محل قدمه الأسعد والحجر الأسود جعل فيها الأسباب لجلب المنافع دون ذات نبينا التي خلقت من نوره فما هذه الخرافات من قائلها إلا جهالات ليت صاحبها استحي من الله ومن رسوله ومن الناس من قولها والتفوه بها وقد كان الصحابة الكرام يعظمون ذات نبينا صلى الله عليه وسلم أشد التعظيم كما في حديث عروة بن مسعود الثقفي عند البخاري وغيره لما جاء إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية فرجع إلى قومه فقال أي قومي والله لقد وفدت على كسرى وقيصر والنجاشي فما رأيت أحدا يعظم أحدا ما يعظم أصحاب محمد

محمدًا أنه لا يتنخم نخامة إلا تلقوها بأكفهم فدلوكوا بها وجوههم ولا توضحاً وضوءاً إلا اقتتلوا على وضوئه يتبركون به ولا يحدون النظر إليه الحديث فانظر كيف تعظيم الصحابة لذاته بل للصادر من ذاته مما هو مستقذر بالنسبة لغير ذاته الشريفة أفقال إن النخامة وماء الوضوء الذي يجري على أعضائه الشريفة كانت تدعو أو نشفع أو لها جاه بل هي ذات تابعة لأشرف الذوات فانظر إلى هذه الجهالات الصادرة ممن يدعي الكمالات فيجعل ذات نبينا



كما اللات ويلزم على قوله إن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه هم الذين فعلوا وأمروا بمشابهة الأصنام والعياذ بالله من لازم هؤلاء الطغام وفي الباب أحاديث دالة على التوسل بالآثار للأنبياء والأولياء الأخيار لا جواب عنها للخصماء الأشرار منها ما في البخاري ومسلم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها وفي بعض حديثها فأخرجت لي جبة طيالة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها ومكفوفتان بالديباج فقالت فهذه كانت عند عايشة رضي الله عنها فلما قبضت قبضتها فنحن نغسلها للمرضى نستشفى بها الحديث فانظر كيف يستشفون بها لكونها كانت ملبوسة لتلك الذات الحاوية لجميع الكمالات ومنها في جمع الصحيحين للحميدي عن عبد الله ابن موهب قال أرسلني أهلي إلى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بقدر من ماء فجاءت بجلجل من فضة فيه شعر من شعر النبي صلى الله عليه وسلم فكان إذا أصاب الإنسان عين أو شيء بعث بإناء إليها فحضضت له فشرب منه فاطلعت في الجلجل فرأيت شعرات حمرا ومنها ما في الجمع بين الصحيحين للحميدي عن سهل ابن سعد في البردة التي استوهبها من النبي صلى الله عليه وسلم فلامه الصحابة على طلبها منه فقال إنما سألته إياها لتكون كفي وفي رواية أبي غسان أنه قال رجوت بركتها حين لبسها النبي صلى الله عليه وسلم لعلي أكفن بها وكان مراده يتسبب بها إلى الله في قبره ليندفع عنه العذاب ببركتها وهي ذات لا يتصور فيها شيء سوى كونها من آثار تلك الذات وفي الصحيحين عن أم سليم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينام عندها فكانت تأخذ من عرقه الشريف فاستيقظ فقال ما تصنعين يا أم سليم فقالت يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا فقال أصبت قال ابن ملك في شرح المصايح وفيه دليل على جواز التقرب إلى الله تعالى بآثار المشايخ والعلماء والصلحاء انتهى ومنها ما في صحيح مسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بأنيتهم فيها الماء فما يأتونه بإناء إلا غمس يده الشريفة فيه قال ابن الجوزي في كتابه بيان شكل الحديث إنما كانوا يطلبون بركته صلى الله عليه وسلم لهذا وينبغي للعالم إذا طلب العوام منه التبرك في مثل هذا أن لا يخيب ظنونهم انتهى كلام الحافظ ابن الجوزي وفي كلام هذا العالم

العالم وفي كلام النووي في شرح مسلم والقاضي عياض في شرح مسلم  
وفي كلام العلامة ابن ملك الحنفي دليل على أن هذه الأمور ليست خاصة  
النبي صلى الله عليه وسلم كما زعمه بعض الخوارج ومنها ما رواه البخاري عن  
ابن سيرين قال قلت لعبيدة عندنا من شعر النبي صلى الله عليه وسلم أصبناه  
من قبل أنس أو من قبل أهل أنس فقال لأن تكون شعرة عندي  
منه أحب إلي من الدنيا وما فيها ومنها ما في البخاري أن أنس ابن  
مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى أن تدفن شعرات للنبي  
صلى الله عليه وسلم معه انتهى وما ذاك إلا ليتوجه إلى الله تعالى بها في قبره  
وفي الشفاء في فضل كراماته وبركاته صلى الله عليه وسلم قال وكانت شعرة في  
قلنسوة

خالد ابن الوليد فلم يشهد بها قتالا إلا رزق النصر أيرزق النصر خالد بذات  
شعره ولا يتوسل إلى الله بأصل ذاته صلى الله عليه وسلم وما أحسن ما قال البوصيري  
ومن تكن برسول الله نصرته \* إن تلقه الأسد في آجامها تحم  
ومنها ما في الصحيحين عن ابن عباس أنه مر على قبرين فقال إنهما يعذبان فدعى  
بعسيب فشقه وجعل على كل قبر نصفا وقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا انتهى  
فقد شرع صلى الله عليه وسلم لأمته أن يجعلوا جريدة رطبة في الذي يخاف  
عليه العذاب لأن للجريد خاصية أن الله يخفف عن صاحب القبر الذي  
هو فيه العذاب ولا شك أن الجريد ذات وليس هذا خاصا بالنبي صلى الله  
عليه وسلم حتى يقال إن ارتفاع العذاب بسببه صلى الله عليه وسلم بل أجمع  
العلماء على العمل به في كل عصر أيجوز التسبب بجريد النخل وهو ذات  
ولا يجوز التوسل والتسبب بذات سيد الوجود فأبي عقل لمن يمنع ذلك  
ويدخل نفسه الغيبة في مضايق هذه المسالك وأدل دليل على أن الذات  
يتوسل ويتسبب بها أن هنداً زوجة أبي سفيان أخذت قطعة من كبدة حمزة  
رضي الله عنهما فاسترطتها فما لبثت في بطنها فقال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم إن حمزة أكرم على الله من أن يدخل جزء من بدنه النار وفي  
رواية لو لبثت لم تدخل النار أعظم من ذلك شرب مالك بن سنان دمه  
وقوله لن تصيبك النار ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال له  
صلى الله عليه وسلم ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكر فعله وقد

روى نحو من هذا عنه في المرأة التي شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع البطن أبدا وحديث هذه المرأة التي شربت بوله صحيح ألزم الدارقطني البخاري ومسلما إخراجهم في الصحيح واسم هذه المرأة بركة ذكر ذلك جملة من العلماء منهم القاضي عياض في الشفاء والقسطلاني في المواهب اللدنية فيا أمة الدين أيكون الدم والبول والخارج من ذاته سببا لدفع النار عن شاربها وكذلك الوجع ويمتنع عن ذاته أن يتسبب ويتوسل بها إلى الله تعالى وهي من نور الله تعالى كما في حديث جابر وغيره فمن منع التوسل بذات سيد المرسلين أهو من الأعداء له أم يعد من المسلمين فما هذه الشناعة يا أصحاب الصقاعة والرقاعة في ذات صاحب الشفاعة ومن هو الرحمة بذاته للكفار فضلا عن الإسلام فضلا عن أهل السنة والجماعة فتأمل رحمك الله في هذه الجملة ودع الجاهل وجهله فيتحقق لك أن آية ابتغاء الوسيلة عام في الأعمال والأقوال والذوات بدليل هذه الأحاديث الصحيحة ومن الآيات الدالة على الطلب من المخلوق ولو ما لا يقدر عليه إلا الله إذا كان في مقام الكرامة للأولياء قوله تعالى عن نبي الله سليمان يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين فطلب من الملأ وهم الجن والإنس وفيهم مردة الشياطين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك قال سليمان أريد أسرع من ذلك قال الذي عنده علم من الكتاب وهو آصف ابن برخيا من الإنس وكان كاتب سليمان أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فأتى به في هذه المدة القصيرة وكان العرش في اليمن وسليمان في الشام ومسيرة ما بينهما ثلاثة أشهر فأتى به من تحت الأرض وهو سرير مكلل بالجواهر والذهب فلم ينكسر منه شيء ولم يتخلخل فقد أجمع أهل العلم إن هذا من نوع الكرامة وهو الأمر الخارق للعادة يجريه الله على يد وليه وعبد الصالح والله تعالى ذكر في كتابه ذلك في مقام الافتخار لذلك الرجل الصالح ولم يعتب الله على سليمان ولم يقل له لم دعوت غيري وأنا أقرب إليك من جبل الوريد وعبيدي غير قادرين على هذا الأمر الذي لا يقدر عليه غيري وذلك لأن نبي الله سليمان ورسوله صلوات الله عليه يعلم أن ذلك من التماس الأسباب وهو من المشروع الذي أمر الله تعالى به

وكذلك الطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أو من شهداء وصلحاء أمته إنما هو من نوع الكرامة والتسبب والفاعل الحقيقي في ذلك هو الله تعالى وكرامة الأولياء داخلة في فضائل الأنبياء لأنها بواسطتهم تكون للأولياء بسبب متابعتهم لذلك النبي صلى الله عليه وسلم ومن الآيات القرآنية الدالة على التوسل والتشفع بالمقربين لا سيما سيد المرسلين قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين اتفق المفسرون وأهل الحديث أنها نزلت في يهود خيبر كانوا قبل وجوده صلى الله عليه وسلم يحاربون أسدا وغطفان من مشركي العرب وكانوا يقولون اللهم بحق هذا النبي الذي تبعته آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم فينصرون فلما جاءهم الرسول ورأوه كفروا به عنادا وحسدا وقال ابن القيم في كتابه بدايع الفوائد أن اليهود كانوا يحاربون جيرانهم من العرب في الجاهلية ويستنصرون عليهم بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره فيفتح لهم وينصرون عليهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم كفروا وجحدوا نبوته فاستفتحهم به مع جحد نبوته مما لا يجتمعان فإن كان استفتحهم به لأنه نبي كان جحد نبوته محالا وإن كان جحد نبوته كما يزعمون حقا كان استفتحهم به باطلا وهذا مما لا جواب لأعدائه عنه البتة انتهى وفي بعض حواشي البيضاوي نقلا عن السعد التفتازاني قال والأظهر أنهم كانوا يطلبون الفتح من الله عليهم متوسلين بذكره صلى الله عليه وسلم ويجعلون اسمه شفيعا انتهى ورأيت للعلامة الورع الزاهد تقي الدين الحصني جعل الله بركات علومه من كل سوء حصني كلاما لطيفا يكتب بماء العيون قال في كتابه المولد النبوي ما نصه وإذا سمع المسلم ما اشتملت عليه أخلاقه الكريمة من حلمه وعفوه واحتماله عرف قدره عند الله فيتوسل به في أموره ومهماتة فإنه الشفيع المشفع والحبیب الذي إذا طلب منه شيء استشفاعا به أجيب ولا يمنع وقد أرشدك الله في كتابه العزيز وألهم أصفیائه إلى ذلك بل توسل به أشد الناس عداوة له وللمؤمنين كما هو مذكور في كتابه المبين فأجابهم إظهارا لتعظيم حبيبه سيد الأولين والآخرين قال ابن عباس كانت أهل خيبر تقاتل غطفان كلما التقوا هزمت غطفان اليهود فعادت اليهود بهذا الدعاء اللهم

إننا نسألك بحق هذا النبي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم فكانوا إذا التقوا دعوا اليهود بهذا الدعاء فتهزم اليهود غطفان فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كفروا به فأنزل الله قوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا أي يدعون بك يا محمد إلى قوله فلعنة الله على الكافرين فانظر أرشدك الله تعالى إلى هذا الشرف والمكانة له عند ربه كيف كان يستجيب لمن هو كافر به ويعلم تعالى أنه يكون من أشد الناس عداوة له وإيذاء وكان ذلك قبل بروزه إلى الوجود فكيف وقد بعث رحمة للعالمين فمن منع التوسل به فقد أعلم الناس أنه أسوأ حالا من اليهود ونادى على نفسه بذلك ثم ذكر توسل آدم به وما ذكره المفسرون في ذلك وأهل الحديث فتأمل في حسن هذا الكلام وموقعه لتعلم حال من منع التوسل به وشقاءه حيث إن الله جعله دليلا على نبوته وملزما لا عدائه بالحجة البالغة فيه وقد بقي من آيات القرآن ما فيه دلالة على التوسل والتشفع مما ذكرناه في غير هذا الكتاب (فصل) ولما كان ما يحصل من التوسل والتشفع بالأنبياء والأولياء إنما هو من طريق الكرامة مع كونهم متسببين في دار برازخهم والكرامة لما أجمع عليها المسلمون من أهل السنة والجماعة وهي من واجب الاعتقاد على العباد وأصلها في كتاب الله تعالى باتفاق أهل السنة وذلك طلب سليمان عليه السلام إحضار عرش بلقيس من سباء إلى الشام في طرفة عين ولم يتخلخل منه شيء وهو من الجواهر والذهب وكان من أتى به آصف بن برخيا وهو ولي بلا شك وكذلك رزق مريم كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا وغير ذلك مما ذكره أهل عقايد كل مذهب من مذاهب أهل السنة وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن كرامات الأولياء من معجزات الأنبياء عليهم السلام لأن المعجزة لما كانت في الأنبياء المتبوعين بقيت آثارها في التابعين الأحياء والميتين بل هي في الأنبياء والأولياء بعد الانتقال إلى دار البقاء أدل وأقوى على صدقهم وحقيقة دينهم وذلك أن النبي الحي والولي الحي قد يظن العدو الكافر والمنافق أن المعجزة والكرامة من عملهم وتحيلهم وأما بعد الانتقال فلم تبق هذه الشبهة بوجه لعلم ذوي العقول أن هذا من محض خلق الله وقدرته

أجراه تعالى على يد نبيه أو وليه كرامة له بخرق العادة ثم إنما تنسب المعجزة  
أو الكرامة لنبي ظاهر أو ولي معلوم اتباعه للنبي المعصوم صلوات الله  
عليه وهؤلاء لا يمكن الشيطان أن يتصور بصورهم أما الأنبياء فمعلوم لمكان  
العصمة ولقوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وأما الأولياء فلإلرث للأنبياء  
كما ورد في سيدنا عمر وابن مسعود وغيرهما وأما قول الأوشى في بدء الأمالي  
كرامات الولي بدار دنيا \* لها كون فهم أهل النوال  
فليس مما يتعلق به ذو فهم لأن مقصوده أن كرامات الأولياء ظهورها وكونها يكون  
بدار دنيا وهو كذلك لأن دار الآخرة ليست محل خلاف بيننا وبين المعتزلة  
لأنهم ينكرون وجود الكرامة في الدنيا لأنها تشبه المعجزة من جهة خرق  
العادة فيشبهه الولي بالنبي عندهم وأهل السنة والجماعة يثبتونها في دار  
الدنيا ولا اشتباه لأن المعجزة إنما تكون من النبي مقرونة بالتحدي وهي  
ادعاء النبوة والولي لا يتحدى بل لو تحدى لخرج عن ولاية الله فقوله  
بدار دنيا متعلق بكون فيكون المعنى كرامات الولي لها كون بدار دنيا  
ثم فرع على ذلك قوله فهم أهل النوال يعني أهل العطاء لمن يسألهم ويطلب منهم  
تشفعا وعديم الفهم ظن أن بدار دنيا حالا من الولي أي كرامات الولي حال كونه بدار  
دنيا لهم كون أي لها وجود ففهم عديم الفهم أن الولي إذا انتقل إلى  
الدار البرزخية لا يكون بدار دنيا فلا يكون له كرامة وهذا خطأ فإن  
العلماء الكمل كالنجاري الحنفي شارح بدء الأمالي والشيخ أحمد محشي  
الأشباه الحنفي في رسالة له ذكرا ما ذكرته وقالوا بناء على فهم  
من فهم خلافه أن الولي ما دام لم يصل إلى الآخرة وهي ما بعد  
القيامة فهو بدار دنيا فتكون كراماته موجودة وهذا كله لإرخاء العنان  
وإلا فالواقع من كرامات الأولياء بعد موتهم شيء لا يحصي وأجمع عليه  
العلماء فلننقل لك ما هو ثابت بالسنة الصحيحة منها ما في البخاري أن  
عاصما الصحابي كان عاهد الله في الدنيا أن لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك  
فلما قتلة الكفار أرادوا أن يأخذوا الشته فحماها الدبر أي الزناير فما قدروا  
على الوصول إليه وهذه لا شك أنها كرامة من الله تعالى لهذا الولي بعد موته  
وكذلك حديث خبيب لما صلبه الكفار بعد قتله ذهب إليه بعض الصحابة

فأتاه ليلاً فقطع جبل صلبه فسقط ولم يعلم ابن ذهب وكذلك الصحابي الذي  
استشهد وهو مجنب فغسلته الملائكة وهو حنظلة غسيل الملائكة وكل ذلك في  
البخاري وفي المشكاة عن عايشة رضي الله عنها أنها لتحدث أن النجاشي لا زال على  
قبره

نور ساطع وقد قدمنا لك حديث جعفر بن أبي طالب وأنه بعد قتله ذهب لأهل  
بيشة يبشرهم بالمطر وكذلك غيره وحديث تكلم رأس الحسين رضي الله عنه  
وهو أنه كان أمام الرأس الشريف قارئاً يقرأ سورة الكهف فقرأ أم  
حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً فقال الرأس قتلي  
وحملي أعجب من أهل الكهف وكذا قراءة نصر الخزاعي وهو مصلوب  
فإنه صلبه المأمون وأمر رجلاً بيده رمح يحرفه عن القبلة فكان إذا جن  
الليل استدار إلى القبلة قال الراوي فسمعتة يقول ألم أحسب الناس أن  
يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون قال فاقشعر جلدي إلى آخر الحديث  
وقد تقدم عن الحديث الذي فيه أن صاحب القبر قرأ سورة الملك حتى  
ختمها وكلها آثار صحيحة ذكرها أئمة الحديث وأخرج ابن عساكر من طريق  
محمد بن إسحاق بن الحريض عن المسيب بن واضح عن عيسى بن كيسان  
عن حدثه عن عمير بن الحباب السلمي قال أسرت أنا وثمانية معي في زمان بني  
أمية فأدخلنا على ملك الروم فأمر بأصحابي فضربت رقابهم ثم إنني قدمت  
لضرب عنقي فقام إليه بعض البطارقة فلم يزل يقبل رأسه ورجليه حتى  
وهبني له فانطلق بي إلى منزله فدعى ابنة له جميلة فقال لي هذه ابنتي أزوجك  
بها وأقسامك مالي فادخل في ديني فقلت ما أترك ديني لزوجتي ولا لدنيا  
فمكث أياماً يعرض علي ذلك فدعتني ابنته ذات ليلة إلى بستان لها فقالت  
ما يمنعك مما عرض عليك أبي فقلت ما أترك ديني لامرأة ولا لدنيا قالت فنحب  
المكث عندنا أو الالتحاق ببلادك فقلت الذهاب إلى بلادتي فأرتني نجماً  
في السماء وقالت سر على النجم بالليل وأكمن بالنهار فإنه يلقيك إلى بلادك  
ثم زودتني وانطلقت فسرت ثلاث ليال أسير بالليل وأكمن بالنهار فبينما  
أنا في اليوم الرابع مكمن فإذا الخيل فقلت طلبت فأشرفوا علي فإذا أنا  
بأصحابي المقتولين ومعهم آخرون على دواب شهب فقالوا عمير فقلت أوليس  
قد قتلتم قالوا بلى ولكن الله نشر الشهداء وأذن لهم أن يشهدوا جنازة عمر بن

عبد العزيز فقال لي بعض الذين معهم ناولني يدك يا عمير فناولته يدي فأردفني  
ثم سرنا يسيرا ثم قذف بي قذفة وقعت قرب منزلي بالجزيرة من غير أن  
يلحقني شيء وذكر ابن الجوزي بسنده عن أبي علي البربري وهو أول من  
سكن طرسوس عن ثلاث إخوة من الشام كانوا يغزون فأسرهم الروم فجرى  
عليهم كما جرى على عمير المتقدم ذكره فقتل اثنان وبقي الآخر ثم إن واحدا من كبار  
الروم تجعل ابنته تغويه فهداها الله وأسلمت وشردت هي وهو فبينما هما كامنان  
بالنهار إذ سمعا وقع خيل فإذا هو بأخويه المقتولين ومعهما ملائكة فسلم عليهما  
وسألهما عن حالهما فقالا له إن الله أرسلنا إليك لنشهد تزويجك بهذه الفتاة فزوجوه  
إياها ورجعوا وخرج إلى بلاد الشام فأقام معها وكانوا مشهورين بذلك معروفين  
بالشام في الزمان الأول وهذا باب واسع فيه للسلف كتب مؤلفة ككتاب ابن أبي  
الدينا فيمن عاش بعد الموت وكتابه في كرامات الأولياء وكتاب القبور وكتاب  
أبي نعيم المسمى بالحلية وصفة الصفة لابن الجوزي وعيون الحكايات له وغير  
ذلك فهذا من حيث النقل عن المحدثين وأهل الأثر وأما من العلماء من كل مذهب  
فأحسن من ذكر كرامات الأولياء بعد الموت ابن تيمية وابن القيم وأما إنكار  
بعض الحنفية طي المسافة من نوع الكرامة فقد رده أئمة الحنفية في كتب  
الفقه وكتب العقائد بمسألة ما لو تزوج مغربي مشرقية فسافر عنها مدة  
بعيدة فحملت بعد غيبته بأكثر من مدة الحمل قالوا يلحق به النسب لاحتمال  
إتيانه إليها بطي المسافة من باب الكرامة وأطبق على هذا الفقهاء كما في الدار  
وغيره وكما في كتب العقائد وذكره صاحب الوهبانية بأن طي المسافة من  
جملة الكرامات التي يجب اعتقادها وأنه نصره النسفي فهو المعول عليه  
في هذه المطالب وأجمع عليه من بعده من الحنفية في مصنفاتهم كما في الفقه  
الأكبر والسواد الأعظم ووصية أبي يوسف للإمام الأعظم وفي شروح  
هذه الكتب وفي النسفية وشروحها وفي المواقف والمقاصد وشروحهما  
وغير ذلك من كتب الأئمة الحنفية وغيرهم كيف وقد وردت به الآية التي  
هي عمدة استدلال أهل السنة على وجوب اعتقاد الكرامة وهي قصة  
إتيان عرش بلقيس من المكان البعيد في طرفة عين فإن هذا من طي المسافة كما  
لا يخفى على منصف وفي شرح السواد الأعظم المنسوب للإمام الأعظم رضي الله



عنه عبارة في غاية الحسن واللطافة ناسب ذكرها هنا قال الثانية والثلاثون ما قلنا إنه ينبغي أن يقر بكرامة الأولياء لأن من أنكر كرامة الأولياء فهو مبتدع ومن أنكرها وهو يظن أن ذلك هدم معجزات الأنبياء فهذا لا يخرج عن أحد ثلاثة أحوال أما ينكر الآيات التي في كتاب الله تعالى فمن أنكر الآيات فقد كفر وإن لم ينكر الآيات

وآمن بها ولكن يقول كانوا أنبياء فقد كفر وإن لم ينكر الآيات ولم يقل كانوا أنبياء فقد صح عنده أن هذه كرامة الأولياء كانت لغير الأنبياء ويجوز ذلك لأن الله تعالى قال قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك وكان آصف ابن برخيا من الأولياء ولم يكن نبيا وكان من أمة سليمان ابن داود فلم جاز أن يكون من أمة سليمان وله كرامة الأولياء وليس يجوز في أمة محمد صلى الله عليه وسلم كرامة أولياء ومحمد أفضل من سليمان وأمة محمد أفضل من أمة سليمان فإن قال المخالف تلك الكرامة كانت من قبل سليمان نقول وهذه الكرامة كانت من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فأخرج الله لها من الشجرة ثمرة لأجل مريم أكرمها بذلك ومريم لم تكن نبية وقوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله وكذلك قصة أهل الكهف فهي كرامة عظيمة أكرمهم الله بها ولم يكونوا أنبياء فلما جاز في الأولين كرامة الأولياء ولا يجوز في أمة محمد كرامة الأولياء وقد قال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس فإن قال المخالف إن فلانا يذهب في ليلة واحدة إلى بيت الله ويرجع هذا لا يكون أبدا قيل كأنك تقول لم تكن للنبي صلى الله عليه وسلم كرامة فلم يكرم بها أحد فإنه صلى الله عليه وسلم أسرى به وعرج به إلى السماوات السبع وبلغ ما شاء الله ثم رجل فهل يكون كرامة أعظم من هذه وأيضا يقال للمخالف المؤمن خير أم الكافر فإننا وجدنا من يسير من الكفار في ساعة واحدة من المشرق إلى المغرب وهو إبليس لعنه الله هذا وهو كافر فكيف لا يكون ذلك كرامة للأولياء فتأمل وأنصف وفي هذا القدر كفاية انتهى عبارة السواد الأعظم واعلم أن الذي ينكر كرامات الأولياء إنما هم الخوارج والمعتزلة والرافضة كما ذكره ابن تيمية وغيره لعدم وجودها عندهم لأنهم ليسوا من أهل الكرامة فلا كرامة لهم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم